اللعب.. والعقل.. الوسيلة.. والهدف

د. منير راشد فيصل

إن ما يبهج الإنسان من مفاهيم ثلاثة هي: الحب، واللعب، والنجاح، وما دام اللعب من مباهج الحياة، فانه يبقى مستمراً استمرار الوجود الإنسانيّ على الأرض، فاللعب يرتبط مع الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية، سواء كان رضيعاً في بطن أمه أم طفلاً يافعاً في دور الحضانة، أم شاباً، أم رجلاً كبيراً.

ويمثل اللعب نشاطًا موجّه أو غير موجّه يقوم الاطفال به؛ لتحقيق المتعة والتسلية ويستعين به عادة الكبار في إنماء شخصياتهم وتطوير سلوكهم من جميع أبعاده العقلية والجسمية والشعورية.

وممّا لا شك فيه ان اللعب ينمي القوى العقلية المعرفية الابتكارية عند الأطفال، ففي أثناء ممارسة اللعب يؤدي الطفل عمليات معرفية على نطاق واسع، فهو يستطلع، ويستكشف الألعاب الجديدة التي يأتيه بها والداه، ولاسيما تلك التي تحتوي على أزرار ومحولات، وتحدث اصواتاً، أو تشعل أضواء أو تفتح أبواب أو تحرك محركات... وغيرها، فالطفل يكرر الأفعال التي تُحدث نتائج، ويستدعي الصور الذهنية التي تستدعي أحداثًا أو أشياًء سبق وان مرت في خبرته السابقة، كتقليد أفعال الكبار وأنماط سلوكهم وتصرفاتهم، ففي مثل هذه الحالات يدرك ويتذكر، ويتصور، ويفكر وهذا مؤشر على قيامه بنشاط عقليّ معرفيّ واضح.

ويكتسب الطفل من اللعب الكثير من المعلومات والحقائق عن الأشياء والناس، ويتعرف من أنشطة الألعاب والتفاعل مع أدواتها ومشاركته فيها على الخصائص الحسية لكل ما يتصل به من أشياء وأشخاص، ويتعرف على الإشكال والألوان والأوزان والأحجام، ويقف على ما يميزها من خصائص مشتركة وما يجمع بينها من علاقات، وتسهم الألعاب أيضا في النمو الابتكاري: فالتفكير الإبداعيّ والكلمات واللهجات الحقيقية جميعها تدفع الأطفال إلى إيجاد الجديد من تلك الألعاب، سواء كان ذلك في

أساليب التعامل مع الأدوات، أو ما تفعله الأدوات من تأثير في تفكيرهم، أو ما يحدث من استعمالات جديدة لموضوعات قديمة، فكل هذا وذاك يعدّ اكتشافاً ابتكارياً.

ويكمن الجوهر الحقيقيّ للعب في زيادة دافعية الاطفال نحو تنمية المهارات المختلفة، إذ يؤدي الاطفال واجبات حقيقية؛ لمعالجة مشكلات فعلية قد تواجههم في المستقبل، فضلا عن توافر عناصر أخرى مثل المنافسة والإثارة في أثناء اللعب.

وقد شجع الكثير من المتخصصين على استعمال اللعب في التدريس؛ كونه يتفوق على الطريقة العادية من حيث النتائج في تحصيل المتعلمين في المواد الدراسية المختلفة، وتهيئته للأجواء الديمقراطية داخل غرفة الصف، وعرض المعلومات في بيئة اقرب للواقع، فضلا عن أنه يزيد من دافعية المتعلمين واهتماماتهم بحيث يتم تنفيذ النشاطات التربوية للعبة في جو يسوده المرح والتفاعل التام ممّا يؤدي إلى زيادة فاعلية عملية التعلم، وتزويد المتعلم بخبرات أقرب إلى الواقع العملي من أي وسيلة تعليمية أخرى، ممّا يعني ان اللعب وسيلة تسهم في تنمية النشاطات العقلية.